

سواداً مما تُرى بالنظر المجرد أو بالآلات البصرية وهذا من الخصائص
المروفة في النبات

أما الجبال فلا تظهر قممها وحيودها إلا بيضاء بيد أن منها ما يظهر
أنور من غيره حتى أن بعضها يُرى بلون الثلج . وقد وُجد من السهول ما
يختلف لونه بين وقتٍ وآخر فيينا يُرى عند أول شروق الشمس عليه
بلون الثلج إذ يرى بعد أيام حين توشك الشمس أن تغيب عنه بلون الصخر
الطبيعي . وهذا ولا ريب من الأسرار التي يصعب كشفها غير أن آخر ما
ذهب إليه المحققون منهم أن هناك ثلجاً حقيقياً ينعقد في مدة ليل القمر
الطويل الذي هو نحو نصف شهر فإذا اشرقت الشمس عليه ظهر بلونه
الناصح ثم بعد أن تستمرّ فوقه مثل ذلك الزمن وهو مدة نهار القمر انحلّ
وانكشفت الصخر من تحته . وهذا الثلج إنما ينعقد من الهواء الجوي
المحيط بالقمر إذ قد ثبت لهم وجود جوٍّ هناك في غاية النزارة فإذا انحلّ
ذلك الهواء من جموده لم يجرّ سيولاً ولا انهاراً ولكن ينتشر في الجو على
عهده ولذلك كان الهواء على القمر يظهر أحياناً ويخفى تبعاً للساعة من اليوم.

والله اعلم

— ❦ —
ديوان ابن مامية الرومي ❦ —

﴿ بقلم حضرة الاستاذ الفاضل رزق الله افندي عبود ﴾

(٢)

كتب الاب لويس شيخو في مجلة المشرق (٧ : ٢٩١) ما يأتي
« (ابن مامية الرومي) كتب احد الحمصيين فصلاً في بعض المجالات.

المصرية عن هذا الشاعر وعن ديوانه فروى عنا كلاماً لا صحة له وزعم اننا قلنا له عن ابن مامية « انه اسم لغير مسمى وان ديوانه ليس له ذكر في احد فهارس المكاتب الاوربية » ولييان فساد قوله دونك ما نعلمه عن هذا الشاعر . هو محمد بن احمد بن عبدالله الرومي المعروف بمامية . وروى الحج خليفة اسمه « ماناي » وروى غيره « ماميّه » ولد في الاستانة وقدم صغيراً الى دمشق وتجنّد في فرقة الينكشيرية وحجّ معها سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٣ م) ثم جعل من العدول في محكمة الصالحية وانقطع للأدب واشتهر بالشعر وجمع ديوانه سنة ٩٧١ هـ (١٥٦٣ م) ودعا روضة المشتاق وبهجة العشاق . ومن هذا الديوان نسختان الواحدة في المتحف البريطاني كتبت على عهد المؤلف سنة ٩٨٥ في شعبان (١٥٧٧ م) والاخرى في اكسفرده وله قصائد حسنة في السلاطين العظام سليمان وسليم الثاني ومراد الثاني وكبار دولتهم وقد اشتهر بالتواريخ الشعرية والمعميات توفي سنة ٩٨٦ هـ (١٥٧٨ م) وفي كتب الادب من شعره مقاطيع متفرقة منها قطعتان في حديقة الافراح للبيهي (ص ١١٠ من طبعة مصر) اهـ

(قلت) انني اشكر حضرة الاب الفاضل على ما اتعب نفسه في استقصائه واطرفنا به من القوائد عن هذا الشاعر وعن ديوانه مما ابطل به قوله الاول انه لا يعرف شيئاً عن ابن مامية ولكنني انما آخذ عليه انكاره الكلام الذي قاله لي ورويته عنه كما سمعته منه . ولعل النسيان هو الذي دعا الى هذا الانكار ولذلك فما انا اذكر له كل المواضيع التي كلمته فيها في باب ديرهم لما كان خارجاً منه هو وحضرة الخوري التقي

اوزن دلال السرياني الكاثوليكي والشاب توفيق افندي كرامة احد تلاميذهم وذلك بعد رجوعه من حماة ضحى يوم الخميس في ٢٥ ايلول^(١) غربي سنة ١٩٠٢ عله يتذكر ويعلم اني لم اروي عنه غير الصحيح ولم اثبت الا الكلام الذي نطق به فهُ وقد تنفع الذكرى

سألته اولاً عن صحة ترجمة بعض قطع منقولة عن آباء الكنيسة القدماء ومثبتة في فصل الاستحالة الجوهرية من كتاب ريحانة النفوس في اصل الاعتقادات والطقوس تأليف وطبع البروتستان (ص ٨٥ - ٨٩) فوعدني ان يترجمها ترجمة صحيحة اذا كتبها وارسلتها الى ادارة المشرق . ثم سألته عن اخبار بعض القديسين والعلماء الذين ذكرهم في رده على النشرة الاسبوعية ونسبهم الى حمص وهم القديسون ديودورس وابراهيم الناسك ومترونة والعالمان هيلودور والبيان فوعدني ان ينشر فذلك في تراجمهم ان كتبت اليه عنهم . ثم تقاضيتُه الجواب عن ابن مامية (وكنت قد سألته عنه خطأ) فاجابني بما نقلته عنه في المقالة السابقة . وكذلك قدمت اليه بعض ملاحظات على ما كتب عن ايقونسطاس كنيسة حمص في مقالة عنوانها « صناعة التجارة في المشرق » من قلم الاديب يوسف افندي غنام ثابت نُشرت في مجلة المشرق الزاهرة فطلب مني ان اكتب هذه الملاحظات وارسلها اليه في بيروت وللجنة تحرير المجلة الرأي في نشرها او عدمه^(٢) . ثم عرضت لي على اثر ذلك مشاغل اضطررتي الى ترك التحرير مدة وسيبت

(١) وليس ٢٥ تشرين الاول كما ورد ذلك سهواً في المشرق (٥ : ٩٥٦)

(٢) سأشر هذه الملاحظات في عدد قادم ان شاء الله

الضيآء

(٤٩٧)

تأخري عن الكتابة اليه مما ارجوه عليه عذراً وان أحببنا ان يتكرم
باجابتي عن سؤالي الاولين فله الفضل . ولعل ما ذكرته في هذا المقام
كاف لتذكيره ان كان ما كتبه ناتجاً عن النسيان

(٣)

واما صاحب العزة احمد بك تيمور فقد نشر استدراكه في العدد الحادي
عشر من الضيآء . ونظراً لما قرأته في خلال سطورهِ من آثار لطفهِ وكرمهِ
ومحبته التدقيق اقدم عليه الملاحظات الآتية

(١) قال نقلاً عن ديوان ابن مامية انه ولد سنة ٩٣٠ هـ وهو
قول فيه نظر فاني ذكرت في مقالي الاولى (الضيآء ٩ ص ٢٧٠) ان
اول تاريخ عثرت عليه للشاعر المذكور نظمه في تلك السنة (٩٣٠) فكيف
يمكن ان ينظم تاريخاً في السنة التي ولد فيها ؟ وذلك التاريخ هو قوله
مؤرخاً ولادة نجم الدين بن معروف^(١)

مولد نجم الدين شمس الهدى امار منه الكون لما بدا
والدهر قال عندما قد اتى تأريخه نجمي اضا وهدي

(٢) وقال ايضاً انه قرأ الادب على العلامة الشيخ ابن الفتح المالكي
والصواب «ابي الفتح المالكي» كما اثبت ذلك الخفاجي واوضحته في اول
هذه المقالة

(١) هو الامير نجم الدين ابن القاضي معروف الشامي كان احد اداء
دمشق في القرن العاشر للهجرة وله نظم رقيق . (راجع ترجمته في ريجانة الالبان
للخفاجي ص ١٠٠)

(٣) أخذ علي الاستدلال بالشعر على صفات قائله واخلاقه وقال
ان ذلك لا يؤدي الى المقصود في الغالب . فاجيبه اني لم اعمد الى استنتاج
اخلاق ابن مامية من شعره الذي يصف به نفسه الا لما لم اجد مورداً
استقي منه اخباره غير آثاره الفكرية كما اشرت الى ذلك في محله . ومع
ذلك فالذي اراه هو ان اشعار الشاعر التي يقولها في وصف ذاته ويخبر
بها عن نفسه كثيراً ما يمكن الاستدلال بها على صفاته واخلاقه وخصوصاً في
مثل هذه الحال اي عند عدم وجود وسيلة اخرى لمعرفة مناقبه لانه اذا
كان يصح الاستدلال على اخلاق الشخص بخطه او بازيائه^(١) وهي من
آثاره الخارجية التي لا علاقة لها بالقلب أفلا تدل اشعاره التي هي لغة
عواطفه وترجمان قلبه ووجداناته على اخلاقه وصفاته . وقد قيل في الحكم
للمأثورة « الكلام صفة المتكلم » والى مثل ذلك اشار الشاعر الشهير
ابراهيم افندي الحوراني الحمصي بقوله

الشعر كالمرآة يرسم فيه عقل الناظم

نعم اني لا انكر خروج بعض الشعراء عن حكم هذه القاعدة ولكن من
المعلوم ان إخلال البعض بالقانون لا يدعو الى نبذه
هذا ما رأيت أثباته الآن مع اعترافي بفضل حضرة الاب المفضل
وصاحب العزة احمد بك تيمور وشكري لهما خدمتهما للعلم والادب راجياً
منهما ان يعتقدا بي الاخلاص لهما والسلام